

الفصل الثالث: عدو آخر

الرجال عادة ما يكون لديهم رغبة غريزية في التحليق بحرية في السماء، ولكن وحدهم الطيارين من يمكنهم تحقيق ذلك. لقد كانت وما تزال مهنة قائد الطائرة حلم الرجال منذ القدم، سواء كانوا غربيين أو شرقيين، وبالأخص مهنة قائد الطائرة الحربية المقاتلة. عادة ما يكون الطيار الحربي لديه إحساس قوي بأداء المهام الصعبة للدفاع عن وطنه، إنه الإحساس بالوطنية، بالإضافة إلى ذلك، تكون لديه غريزة القتال ضد العدو أشد من غيره. الطيار هي الوظيفة التي أثارت عقول كثيراً من الرجال حول العالم.

في اليابان اشتهرت المقاتلات "صفر" (Zeke) التي شاركت في الحرب العالمية الثانية، ومثيلاتها في ألمانيا المقاتلات Messerschmitt AG، وقد بقيت سمعة تلك الطائرات حتى بعد هزيمتها في الحرب، وبقي طياروها يذكرون الناس بالحنين لتلك البطولات التي خاضوها بطائراتهم. لقد كانت الأفلام الأمريكية التي صنعتها هوليوود تصور الطيار الياباني أو الألماني بأنه ساذج، وفي المقابل، كان الجندي و الضابط الياباني أو الألماني في المعارك الأرضية يصور على أنه وحشي وسيئ للغاية مقارنة بالطيار.

في إسرائيل، الحصول على وظيفة طيار في السلاح الجوي هي حلم كل إسرائيلي أيضاً. لقد كان لطيار سلاح الجو الإسرائيلي دور كبير في حروب الشرق الأوسط التي وقعت واحدة تلو الأخرى، فقد ساهموا بشكل كبير في تحقيق الانتصار لوطنهم.

لقد كان للطائرات الحربية المقاتلة دور فعال في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وتمخضت عن الحرب العالمية الثانية حروب اقليمية كانت تديرها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في إطار الحرب الباردة في أجزاء كثيرة من العالم مثل الحرب الكورية وحرب فيتنام، مما أعطى مجالاً واسعاً للتنافس في الأداء بين الطائرات المقاتلة الأمريكية والسوفيتية في تلك الحروب. إلا أنه ومع دخول القرن الواحد وعشرون بدأت رياح التغيير تأخذ مساراً مختلفاً، فبدلاً من أن تدخل الدول في

حروب مباشرة مع بعضها البعض، أخذ النشاط الإرهابي يظهر على السطح بسبب التعصب الديني في كثير من الحالات، كان من أهمها الهجمات الإرهابية المتكررة من بعض الإسلاميين في عدد من دول العالم.

في كثير من الحالات، يقع النشاط الإرهابي في المناطق الحضرية المزدحمة بالسكان، والخلايا الإرهابية أيضاً تتظاهر بالمدنية وتنخرط بين أفراد المجتمع في ممارستهم للحياة اليومية، كما أنها تقوم بين الفينة والأخرى بتغيير قاعدة نشاطاتها من مكان لآخر.

وكما هو معروف فإن الطائرة المقاتلة هي أفضل ما يجيد القصف الموجه للأهداف الكبيرة داخل المدن والمطارات والترسانات الحربية الخ.. ولكن يختلف الحال قليلاً في حالة الهجوم على الإرهابيين، فرغم أن مواقع نشاطات الخلايا الإرهابية تتغير باستمرار، إلا أن معاقلها الرئيسية عادةً ما تتمركز في مواقع داخل المدن، وكثيراً ما تقوم القوات البرية مثل قوات الأمن وغيرها من الغارة على معاقلهم، وكذلك باستطاعة القوات الجوية توجيه هجوم جوي بإطلاق الصواريخ من الطائرات المروحية الخفيفة. ولكن يكاد يكون من غير المعقول أن تقوم الطائرات النفاثة المقاتلة بمهاجمة أهداف صغيرة داخل المدن. في الواقع لا يوجد للمقاتلات النفاثة دور فعال في معارك المناطق الحضرية.

مع دخول القرن الواحد وعشرون، بدأ الطيارون الحربيون يفقدون كثيراً من مكانتهم، لقد جاء كثيراً منهم إلى إسرائيل فتم تصنيفهم ضمن القوى العاملة العاطلة عن العمل في القوات الإسرائيلية. مرة واحدة فقط كان لديهم الفرصة للتطبيق، كانت تلك الفرصة في حرب تحرير العراق. لقد حاولت الحكومة الإسرائيلية والقادة العسكريين إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بمشاركة إسرائيل في حرب تحرير العراق، وقد كانت إدارة الرئيس بوش في ذلك الوقت شديدة الموالية لإسرائيل. ومع ذلك، رفضت الحكومة الأمريكية بشكل غير مباشر قبول العرض الإسرائيلي تحسباً لردة فعل الرأي العام العالمي.

بدأت حرب تحرير العراق وقام الرئيس صدام حسين بإطلاق صواريخ سكود على إسرائيل، كان

هدفه هو استفزاز إسرائيل، وسقطت الصواريخ في المناطق التي تحتلها إسرائيل في الضفة الغربية لنهر الأردن. لم يكن هناك ضرر كبير، ولم يكن سقوط الصواريخ بحد ذاته يمثل إشكالاً لدى إسرائيل، إلا أن ذلك كان بمثابة ذريعة لإسرائيل لضرب العراق. تم على الفور تدعيم نظام السلاح الجوي للعودة للقتال، وأبدى طيارو سلاح الجو الإسرائيلي أقصى درجات الاستعداد والحماس لخوض الغارات الجوية المضادة على العاصمة العراقية بغداد. إلا أن الولايات المتحدة خيبت آمالهم بعدم السماح لإسرائيل بتنفيذ الهجوم.

لقد كان غرض الولايات المتحدة من تبرير الحرب على العراق هو في تحرير العراق من الدكتاتور صدام، كما أن دولا إسلامية بما فيها باكستان شاركت معها ضمن قوات التحالف لهذا الغرض، إضافة إلى سماح المملكة العربية السعودية والكويت لقوات التحالف باستخدام أراضيها لغرض التحرير أيضاً. لقد كان جليا أنذاك بإمكانية حدوث تصادم بين تلك الدول مع الولايات المتحدة لو أنها سمحت لإسرائيل بالمشاركة في الحرب.

وهكذا، لم يجد الطيارون الإسرائيليون بداً إلا أن يشاهدوا الغارات الجوية التي تُشن على بغداد عبر شاشات التلفزيون من شبكة CNN الإخبارية، تلك المشاهد التي لقطتها طائرة إستطلاع لحظة إطلاق الصواريخ من المقاتلات الأمريكية مباشرة نحو أهدافها. تم بث تلك الصور مراراً عبر شبكة CNN. لقد كانت حرباً حقيقيةً تدور هناك، ومع ذلك، كانت تلك الصور أشبه ما يكون بلعبة على جهاز الفيديو. لم يشعر المشاهدين بقسوة الحرب الحقيقية على الإطلاق، كان ذلك كما أنها تصوير لحرب في الواقع الافتراضي.

بالإضافة إلى ما سبق، لقد ساد لدى الرأي العام الإسرائيلي بأن السلاح الجوي الإسرائيلي أصبح عديم الفائدة، فالمقاتلتين الرئيسيتين F-15 و F-16، أصبحتا في الوقت الحاضر عتيقة إلى حد كبير، وأصبح السلاح الجوي الإسرائيلي يتطلع للجيل الأحدث من هذه الطائرات وهي المقاتلة F-22، الطائرة المتطورة الأسرع من الصوت التي طورتها الولايات المتحدة والتي يطلق عليه الأسم المستعار "الشبح رابتور". وسميت بالشبح لأنه يصعب على رادارات العدو أو الأشعة تحت

الحمراء الخاصة بالبحث والتتبع (IRST) أن تلتقطها.

هناك قاعدة أساسية يجب أن تطبقها الولايات المتحدة عند عقد صفقات الأسلحة مع دول الشرق الأوسط، وهي إعطاء الأولوية لإسرائيل في صفقات الأسلحة ذات التقنية المتطورة، فاللوبي اليهودي في الولايات المتحدة لن يسمح أبداً بنشر الأسلحة الأمريكية المتطورة في الدول العربية قبل أن تحصل عليها إسرائيل أولاً. وقد وافق الكونغرس الأمريكي على تصدير أسلحة إلى المملكة العربية السعودية فقط لأن إسرائيل تمتلك نفس الأسلحة.

في الواقع فإن الحكومة الأمريكية تشجع صفقات التسليح مع الدول الأجنبية باعتبارها مسألة لا مفر منها لتطوير صناعة الأسلحة، فالولايات المتحدة دائماً ما تتنافس دولاً مثل فرنسا وروسيا في مجال صناعة الأسلحة.

على أية حال، حاولت الحكومة الأمريكية بيع مقاتلات "الشبح" لإسرائيل، إلا أن إسرائيل في ذلك الوقت لم تكن في موقف مالي مناسب لشراءها. فنفتحات التسليح في إسرائيل في ازدياد من جراء المواجهة المستمرة مع الجماعات الإسلامية المتشددة مثل حماس وحزب الله. وتمثل ميزانية الدفاع الوطني حوالي 8% أو أكثر من إجمالي الناتج المحلي الإسرائيلي، لذا أصبح العبء المالي لميزانية الدفاع تمثل قلقاً لدى الحكومة، كما أن المواطنين الإسرائيليين أصبحوا يشعرون بعدم الإرتياح بسبب استمرار نظام شبه الحرب التي استمرت لأكثر من نصف قرن، وشراء أسلحة باهظة الثمن أصبح أمراً غير مقبول لديهم. أن تكلفة شراء طائرة واحدة من نوع "الشبح" تبلغ حوالي 200 مليون دولار!

هناك مسألة أخرى تهدد بقاء الطيارين في سلاح الجو الإسرائيلي، ألا وهي تطوير نظام الطائرات بدون طيار. فصناعة تقنية المعلومات بلغت درجة عالية من التطور في إسرائيل، كما هو الحال أيضاً في مجالات البحث والتطوير في صناعات الحروب الموجهة باستخدام أنظمة المعلومات الذي بلغ درجة عالية من التقنية.

فنظام تطوير طائرة بدون طيار منخفضة التكاليف أصبح في مرحلة الاستخدام العملي. فبمجرد إرسال الطائرة بدون طيار إلى جبهة القتال، كل ما تحتاج إليه الطائرة لخوض المعركة هو خبير

تقنية معلومات ومهندس صيانة. فقط فريق قيادة الطائرة المروحية الذي لا يزال ضروريا لنقل جنود المشاة المصابين إلى المستشفيات. سيتم الإستغناء عن قائد الطائرة المقاتلة، وكما أن إطلاق القنابل بواسطة الطيار سوف يصبح عديم الفائدة.

لقد نفذ صبر الطيارين الإسرائيليين حيال هذا الوضع، فما كان من الطيارين القدامى الذين كانت لديهم خبرة في القتال في حروب الشرق الأوسط إلا أن تعجلوا أمرهم وتحولوا للعمل في مجال التعليم. أما الطيارون الذين في الخدمة فهم لا يزالون في حالة تدمر، مع إستمرارهم في محاولة إقناع المواطنين بأهمية الطائرات المقاتلة المأهولة بطيار.

إن خطة توجيه غارة جوية من قبل سلاح الجو الإسرائيلي لضرب المرافق النووية الإيرانية، تعد عملية متهورة، لكن الفكر التنفيذي لدى السلاح الجوي يقصد من ذلك بأنها قد تكون العملية العسكرية الأخيرة التي تنفذها طائرات مقاتلة مأهولة بطيار.